نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم

(٦)

أسماء بنت أبي بكر

رضي الله عنها

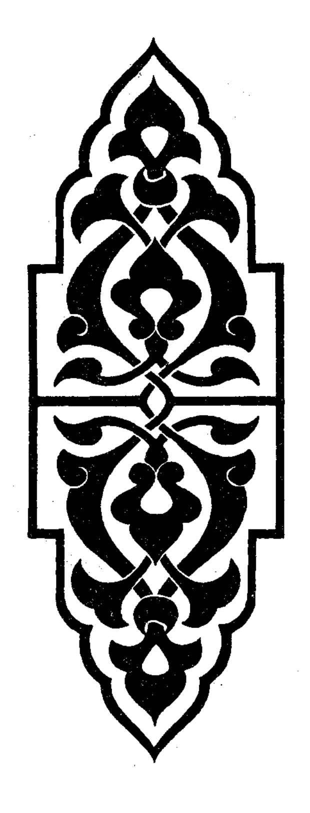
ذات النطاقين

إبراهيم محمد حسن الجمل

دار الفضيلة



أَسْمَاءُ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ
(رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا)



أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) صَاحِبَةُ وِسَامٍ وَلَقَبٍ لَمْ تَحْصُلْ عَلَيْهِ أُنْثَى ، وَلَمْ تَقُمْ بِمَا قَامَتْ بِهِ مِنْ إِخْلاَصٍ وَتَضْحِيَةٍ لِرَبِّهَا وَلِدِينهَا حَتَّى اسْتَحَقَّتْ أَن تَنَالَ هَذَا الوِسَامَ الرَّفِيعَ فِى الآخِرَةِ فِى الجَنَّة إِن شَاءَ الله .

فَحِينَمَا خَرَجَتْ مَعَ أَخِيهَا عَبْد الله تَحْمِلُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلأَبِيهَا (رَضِىَ الله عنهُ) وَهُمَا فِى الغَارِ يَسْتَعِدَّانِ لِلْهِجْرَة مِن مَكَّةَ إِلَى المَدِينَة .

لَقَد خَرَجَتْ مُسْرِعَةً ، وَنَسِيَتْ أَن تَجْعَلَ لِلسُّفْرَةِ الَّتِى تَحْمِلُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ عُلاَّقَةً ، فَشَقَّتْ نِطَاقَهَا الَّذِى تُدِيرُهُ حَوْلَ وَسَطِهَا نِصْفَيْنِ ، عَلَّقَتِ السُّفْرَةَ وَالسِّقَاءَ فِى نِصْفٍ ، وَوَضَعَتِ النِّصْفَ الثَّانِى عَلَى وَسَطِهَا كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ الأُنْثَى فِى زَمَنِهَا .

فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَعَلَتْ ذَلكَ قَالَ لَهَا : « أَبْدَلَكِ الله بِنَطَاقِكِ هَذَا نِطَاقَيْنِ فِى الجَنَّةِ » [1] .

---

(١) البداية والنهاية (١٨٤/٣ - ١٨٨) .

وَمُنْذُ ذَلكَ الوَقْتِ وَهِيَ تُلَقَّبُ بـ (ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ) .

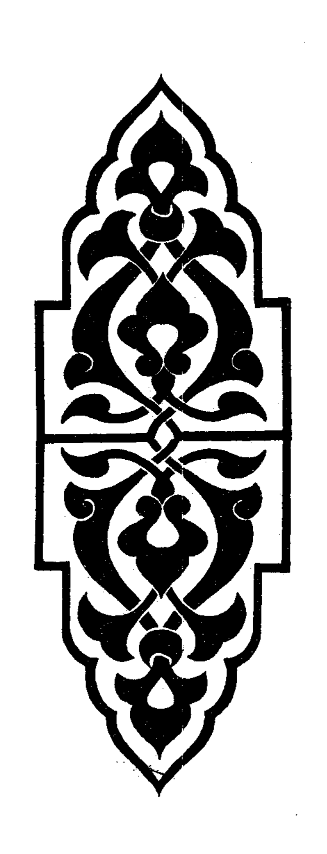
فَقَد نَالَتْ وِسَاماً يَطْلُبُهُ كُلّ مُسْلم وَمُسْلِمَة ، وَيَرْجُو أَن يَحْصُلَ عَلَيْهِ ، فَفِيهِ رِضَاءُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَن يَرْضَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ يَضْمَن لَهُ الجَنَّة .

★ ★ ★

أَمَّا أَبُو أَسْمَاءَ : فَهُوَ عَبْدُ الله بنُ أَبِى قُحَافَةَ وَكُنْيَتُهُ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَهُوَ المَعْرُوفُ بنَسَبِهِ ، فَهُوَ مِن قُرَيْشٍ إِحْدَى القَبَائِلِ الَّتِى كَانَتْ تَعِيشُ فِى مَكَّةَ ، وَكَانَ صَاحِباً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِى الجَاهِلِيَّة ، وَكَانَ أَوَّلَ مَن صَدَّقَ برِسَالَتِهِ ، وَدَافَعَ عَنْهُ أَمَامَ الأَعْدَاءِ ، وَصَاحِبَهُ فِى الهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَة ، وَوَزِيرَهُ فِى حَيَاتِهِ ، ثُمَّ خَلِيفَتَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ ﷺ ، وَيَكْفِى بِهَذَا فَضْلًا وَمَكَانَةً وَمَنْزِلَةً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

★ ★ ★

وَأَمَّا أُمُّ أَسْمَاءَ : فَهِىَ (قُتَيْلَةُ بِنْتُ عَبْد العُزَّى) ، وَأَبُو قُتَيْلَةَ هَذَا سَيِّدٌ مِن سَادَةِ قُرَيْشٍ ، تَزَوَّجَتْ قُتَيْلَةُ عَبْدَ اللهِ بن أَبِى قُحَافَةَ المُلَقَّبَ بـ (أَبِى بَكْرٍ) قَبْلَ الإِسْلَامِ ، فَأَنْجَبَتْ مِنْهُ أَوَّلًا ابْناً سَمَّاهُ أَبُوهُ عَبْد الله ، وَبِنْتاً أَسْمَاهَا أَسْمَاءَ ، وَلَمْ تَدُمْ حَيَاتُهَا مَعَ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) طَوِيلًا ، فَقَدْ طُلِّقَتْ مِنْهُ ، وَتَزَوَّجَتْ بِغَيْرِه ، وَظَلَّتْ عَلَى دِينِ قُرَيْش ، وَلَمْ تُؤْمِن بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَلَمْ تَتَأَثَّر بِهَا أَسْمَاءُ فِى حَيَاتِهَا ،





وَكُلُّ مَا يُعْرَفُ عَنْهَا ، أَنَّهَا وَهِيَ عَلَى الشِّرْكِ جَاءَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَرَادَتْ أَن تَدْخُلَ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ وَقَد حَمَلَت لَهَا هَدَايَا كَثِيرَةً ، فَأَبَتْ أَسْمَاءُ أَن تَقْبَلَ هَدَايَاهَا أَوْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى أُخْتِهَا عَائِشَةَ (رَضِيَ اللهُ عنهُمَا) زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ لَهَا : (سَلِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي أَمْرِ أُمِّي ، وَمَا تَحْمِلُ) ؟

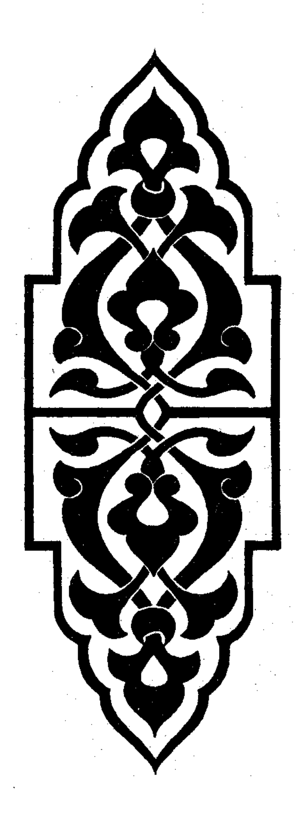
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لِتُدْخِلْهَا بَيْتَهَا ، وَتَقْبَلْ هَدِيَّتَهَا » [1] .

فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قُرْآناً يُتْلَى ، وَكَانَ مَا حَصَلَ بَيْنَ أَسْمَاءَ وَأُمِّهَا سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ النُّزُولِ :

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [2] .

وَلَمْ يَكُن لِقُتَيْلَةَ أَثَرٌ يُذْكَرُ فِي حَيَاةِ ابْنَتِهَا أَسْمَاء .



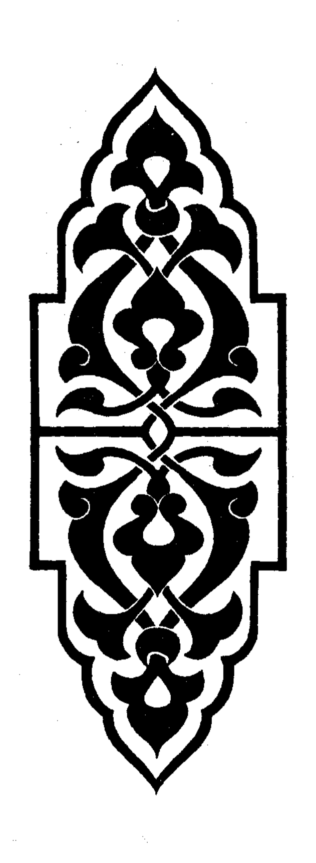


---

(١) راجع : (أعلام النساء ١/٤٧ - ٥٢) .
(٢) سورة الممتحنة : الآيتان (٨ ، ٩) .

طُفُولَةُ أَسْمَاءَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا)

وُلِدَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) فِى العَامِ الرَّابِع عَشَرَ قَبْلَ بِعْثَةِ النَّبِىِّ ﷺ فِى بَيْتٍ مِن بُيُوتِ سَادَةِ قُرَيْشٍ ، وَهُوَ بَيْتُ عِزٍّ وَمَجْدٍ وَغِنًى ، وَلَمْ تَطُلْ إِقَامَةُ أُمِّهَا فِى هَذَا البَيْتِ ، فَقَد تَرَكَتْهُ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ ، فَتَوَلَّتْ تَرْبِيَةَ أَسْمَاءَ جَدَّتُهَا لأَبِيهَا (سَلْمَى بِنْتُ صَخْرٍ) وَاهْتَمَّتْ بِهَا كَثِيراً حَتَّى إِنَّهَا وَصَفَتْهَا لأَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) فِى طُفُولَتِهَا الأُولَى فَقَالَتْ : إِنَّهَا طَوِيلَةٌ جَمِيلَةٌ وَفِيهَا الكَثِيرُ مِن مَلَامِحِك ، وَأَرْجُو أَن تَكُونَ مِثْلَكَ فِى صِفَاتِكَ وَأَعْمَالِكَ ، وَأَن تَجْعَلَكَ قُدْوَتَهَا وَمَثَلَهَا الأَعْلَى عِنْدَمَا تَكْبُرُ فَتَمْلأُ عَلَيْنَا البَيْتَ فَرَحاً وَسُرُوراً .

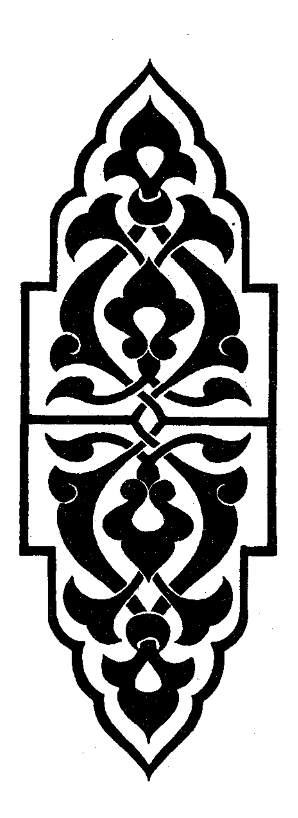


مَثَلُهَا الأَعْلَى

جَعَلَتْ أَسْمَاءُ مِنْ أَبِيهَا (رَضِىَ الله عنهُمَا) المَثَلَ الأَعْلَى ، فَأَخَذَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةَ فِى القَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالأَمَانَةَ ، فَقَد كَانَ أَمِيناً فِى تِجَارَتِهِ الَّتِى جَلَبَتْ عَلَيْهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، كَانَ صَادِقاً فِى حَدِيثِهِ مَعَ النَّاسِ ، فَلَمْ يُؤْثَرْ عَنْهُ أَنَّهُ كَذَبَ مَرَّةً لِيَصِلَ إِلَى مَنْصِبٍ أَوْ جَاهٍ ، وَكَانَ عَفَّ اللِّسَانِ ، فَلَمْ يَصْدُر مِنْهُ مَا يُسِيءُ إِلَى إِنْسَانٍ مَهْمَا كَانَتْ مَكَانَتُهُ ، وَتَعَلَّمَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله

عنهَا) مِنْهُ الرَّحْمَةَ والرِّفْقَ بِالضُّعَفَاءِ ، وَإِطْعَامَ الفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ ، وَأَيْضاً تَعَلَّمَتْ الكَثِيرَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِى اتَّصَفَ بِهَا أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَعَرَفَهَا النَّاس عَنْهُ .

كَانَتْ تَسْمَعُهُ وَتُصْغِى إِلَيْهِ وَتُشَارِكُهُ الحَدِيثَ ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ البَيْتِ ، انْتَظَرَتْ رُجُوعَهُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ ، وَكَانَتْ تَتَمَنَّى أَن تَكُونَ مِثْلَ أَبِيهَا حَتَّى تَكُونَ مَحَلَّ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ مِن جَمِيعِ النَّاسِ .



الطَّاعَةُ وَالمُشَارَكَةُ

لَمْ يَشْغَلْ أَسْمَاءَ (رَضِىَ الله عنهَا) شَىءٌ عَنِ المُشَارَكَةِ فِى أَعْمَالِ البَيْتِ مُنْذُ طُفُولَتِهَا الأُولَى ، فَهِىَ تَشْتَرِكُ مَعَ الخَدَم فِى إِعْدَادِ المَوَائِدِ للضُّيُوفِ الَّذِينَ لَا تَخْلُو مِنْهُم قَاعَةُ البَيْتِ الكَبِير فِى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ ، سَوَاءٌ أَكَانُوا مِنَ الأَغْنِيَاءِ أَمْ مِنَ الفُقَرَاءِ أَمْ مِنَ التُّجَّارِ الَّذِينَ يَفِدُونَ إِلَى مَكَّةَ أَمْ مِنَ الَّذِينَ يَحُجُّونَ إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ فِى مَكَّةَ .

كَانَ العُلَمَاءُ يَقْصِدُونَ أَبَاهَا لِيَزْدَادُوا مِنْ عِلْمِهِ ، وَمَعْرِفَتِهِ بالأَنْسَابِ ، وَكَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ لِيَفْصِلَ بَيْنَهُمْ فِى أُمُورِ الدِّيَاتِ .



فِـى رِحَـابِ الإِيـمَانِ

فِى يَوْمٍ تَوَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) إِلَى بَيْتِهِ وَطَرَقَ البَابَ ، فَعَرَفَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) أَنَّ أَبَاهَا بالْبَابِ ، فَأَسْرَعَتْ لِتفْتَحَ لَهُ ، وَمَا كَادَ يَرَاهَا حَتَّى ابْتَسَمَ قَائِلًا : السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا أَسْمَاءُ .

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : مَا هذَا يَا أَبَتَاهُ ..؟ وَهَلْ هَذِهِ هِىَ تَحِيَّةُ اللِّقَاءِ ؟

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنـهُ) : نَعَمْ يَا أَسْمَاءُ ... إِنَّهَا تَحِيَّةُ اللِّقَاءِ ، وَتَحِيَّةُ الإِسْلَام .

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : تَحِيَّةُ الإِسْلَام ..؟ مَنْ عَرَّفَكَ بالإِسْلَامِ ، وَبِهَذِهِ التَّحِيَّةِ ؟

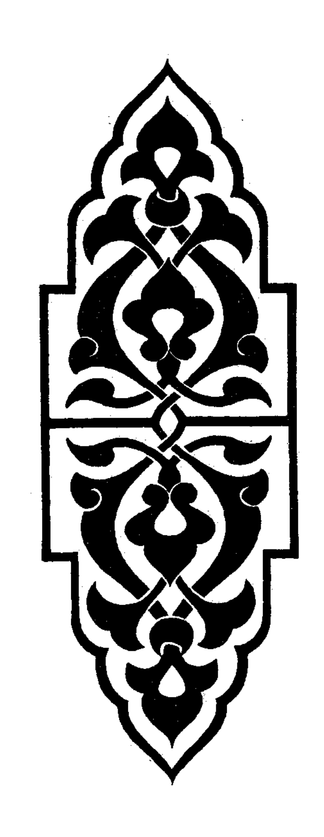
قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنـهُ) : عَمُّكِ مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ ... فَقَد أَرْسَلَهُ الله لِهِدَايَةِ النَّاس جَمِيعاً .

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : عَمِّى مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدِ اللهِ ، صَاحِبُكَ الأَمِينُ ، فَبِأَيِّ شَىْءٍ أَرْسَلَهُ ؟

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنـهُ) : أَرْسَلَهُ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ... وَتَرْكِ الأَصْنَامِ وَعِبَادَتِهَا ...

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : يَا أَبَتَاهُ ... إِنَّنِى أَسْلَمْتُ ... وَآمَنْتُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ، وَأَطْلَعَكَ عَلَيْهِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنـهُ) : قُولِى يَا أَسْمَاءُ : « أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ » .



قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : نَعَمْ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَسَأَقُولُهَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَفِى السِّرِّ وَالْعَلَن .

وَلَكِن قُلْ لِى يَا أَبَتَاهُ ، مَا رَدُّ هَذِهِ التَّحِيَّةِ ؟

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : رَدُّ هَذِهِ التَّحِيَّةِ : وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فِى بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ)

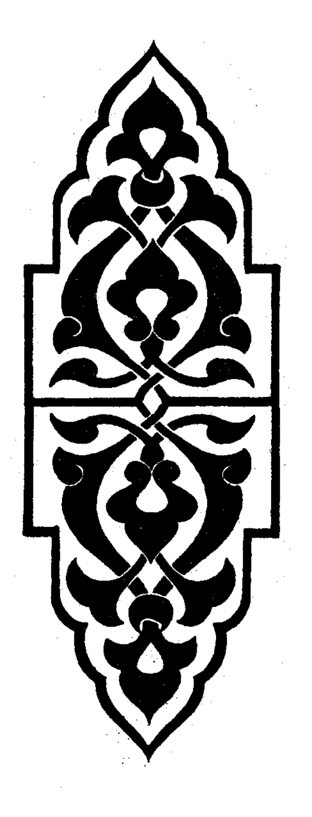
مَا إِنْ أَتَمَّتْ أَسْمَاءُ كَلَامَهَا مَعَ أَبِيهَا (رَضِىَ الله عنهُمَا) حَتَّى سَمِعَتْ طَرْقَ البَاب ، فَجَرَتْ نَحْوَهُ ، وَمَا إِنْ أَتَمَّتْ فَتْحَهُ حَتَّى وَجَدَتْ أَنَّ الطَّارِقَ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا بِنْتَ أَبِى بَكْرٍ .

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَعَرَفْتِنِى وَعَرَفْتِ تَحِيَّةَ الإِسْلَامِ ، بَارَكَ الله فِيكِ يَا أَسْمَاءُ .

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : عَرَفْتُهَا جَيِّداً يَا رَسُولَ اللهِ ، وَآمَنْتُ بِكُلِّ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَمَا جِئْتُ بِهِ يَا أَسْمَاءُ ؟

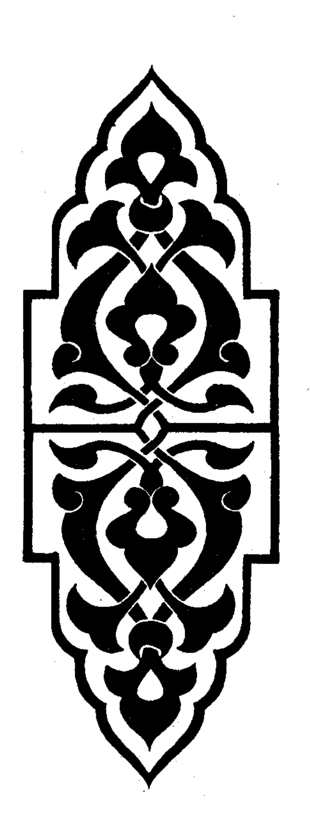
قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : جِئْتُ بِتَوْحِيدِ اللهِ ، فَهُوَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَقَد أَمَرْتَنَا بِتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، وَاتِّبَاعِ كُلِّ أَعْمَالِ الخَيْرِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : بَارَكَ اللهُ فِيكِ يَا أَسْمَاءُ ، تُبَايِعِينَنِى عَلَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : نَعَمْ ... يَا رَسُولَ اللهِ أُبَايِعُكَ وَأُعَاهِدُكَ عَلَى الطَّاعَةِ وَعِبَادَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

دَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : بِأَنْ يَهبَهَا اللهُ قُوَّةَ الإِيمَانِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الحَقِّ ، وَمُضَاعَفَةِ العَمَلِ لِتَنَالَ الثَّوَابَ العَظِيمَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

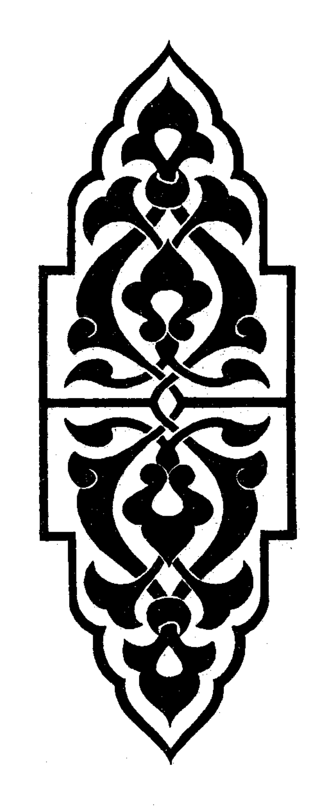




الْإِيـمَـانُ القَـوِىُّ

اتَّبَعَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) وَعَمِلَتْ بِهِ ، وَنَفَّذَتْ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، كَانَتْ تَذْهَبُ مُتَخَفِّيَةً مَعَ المُسْلِمَاتِ إِلَى دَارِ الأَرْقَم بن أَبِى الأَرْقَم ، وَهَذِهِ الدَّارُ كَانَ المُسْلِمُونَ يَجْتَمِعُونَ بِهَا لِيَسْتَمِعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا يَأْمُرُ بِهِ ، وَلِيَحْفَظُوا مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ مِنْ آيَاتٍ وَسُوَرٍ .

كَانَتْ تَلْتَقِى بِمَنْ أَسْلَمَ مِنَ المُسْلِمِينَ ، وَتَتَعَرَّفُ عَلَى سَيْرِ الدَّعْوَةِ ، وَمَا يُصِيبُ المُسْلِمِينَ مِنَ الأَذَى ، وَتَهْتَمُّ بِأَخْبَارِ أَصْحَابِ أَبِيهَا وَالَّذِينَ يَتَرَدَّدُونَ عَلَى بَيْتِهِ ، وَمِنْهُم عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بنُ أَبِى وَقَّاصٍ ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ (رَضِىَ اللهُ عنهُم أجمعين) .





أَخْبَــارُ الأَحِبَّــةِ

كَانَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) تَتَتَبَّعُ أَخْبَارَ الزُّبَيْرِ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، وَقَد أُعْجِبَتْ بِإِيمَانِهِ وَصَبْرِهِ عَلَى الأَذَى ، وَثَبَاتِهِ عَلَى عَقِيدَتِهِ ، وَإِخْلَاصِهِ لِدِينِهِ ، فَحَزِنَت مِنْ أَجْلِهِ ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهَا رَحْمَةً وَشَفَقَةً بِهِ .

دَخَلَ عَلَيْهَا أَبُوهَا أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، فَوَجَدَ الحُزْنَ بَادِياً عَلَى وَجْهِهَا ، وآثَارَ الدُّمُوعِ فِى عَيْنَيْهَا.

فَسَأَلَهَا (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : مَا هَذِهِ الدُّمُوعُ يَا أَسْمَاءُ ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : دُمُوعٌ فِى سَبِيلِ اللهِ ... مِنْ أَجْلِ العَذَابِ الَّذِى يَلْقَاهُ المُسْلِمُونَ .

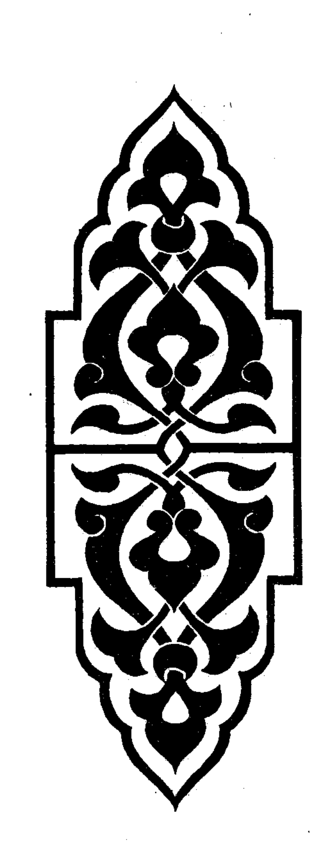
قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : وَمَن تَقْصِدِينَ مِنْهُمْ ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : أَقْصِدُ الزُّبَيْرَ ابنَ العَوَّامِ ، وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ عَمِّهِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : آالزُّبَيْر ...؟ لَا تَحْزَنِى ... سَوْفَ أُكَافِئُهُ عَلَى أَذَاهُ وَصَبْرِهِ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِ .

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : هَلْ سَتُعْطِيهِ مَالًا يُتَاجِرُ بِهِ يَا أَبَتَاهُ ، فَقَد عَلِمْتُ أَنَّهُ مُعْدِمٌ ؟

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : نَعَمْ ... وَأُعْطِيهِ مَا هُوَ أَغْلَى مِنَ المَالِ ــ إِن شَاء اللهُ ــ !



الزُّبَيْرُ يَخْطُبُ أَسْمَاءَ
(رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا)

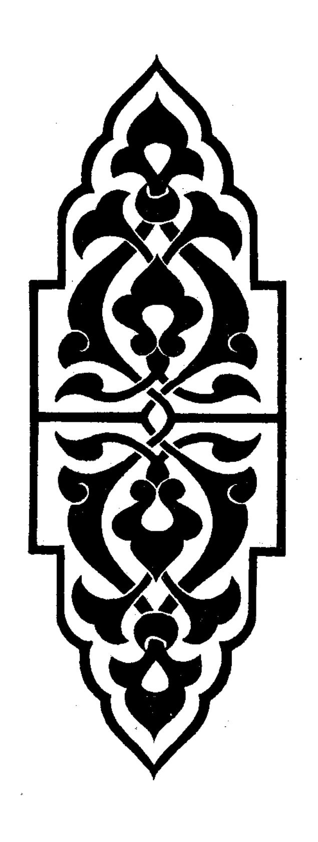
إِنَّ أَسْمَاءَ (رَضِىَ الله عنهَا) أَصْبَحَتْ فِى سِنٍّ تَصْلُحُ للزَّوَاجِ ، وَلَا بُدَّ مِن اخْتيَارِ زَوْجٍ لَهَا ، وَإِنَّ حَدِيثَهَا عَنِ الزُّبَيْرِ (رَضِىَ الله عنهُ) يُغْرِى أَبَا بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) بالحَدِيثِ مَعَهُ ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ المُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ عَيْباً أَن يَخْتَارَ الأَبُ الإِنْسَانَ الصَّالِح لابْنَتِهِ ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَبْدَأُ الحَدِيثَ مَعَهُ ؟

وَبَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) غارِقٌ فِى التَّفْكِيرِ فِى أَمْرِ الزُّبَيْرِ بن العَوَّامِ وَأَسْمَاءَ (رَضِىَ الله عنهُما) إِذْ دَخلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ المُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ ، وَمَعَهُمُ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ ، وَكَانَ حَدِيثُهُمْ فِيمَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ حَدِيثاً مِنَ السُّوَرِ وَالآيَاتِ .

وَلَمَّا هَمَّ الجَمَاعَةُ بِالانْصِرَافِ ، اسْتَأْذَنَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَاسْتَسْمَحَهُم أَن يَبْقَى وَقْتاً مَعَ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ... ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْهُ وَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ جِئْتُكَ فِى أَمْرٍ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : إِن شَاءَ اللهُ يَكُونُ خَيْراً .

قَالَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) : جِئْتُكَ أَطْلُبُ يَدَ ابْنَتِكَ أَسْمَاءَ .



قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : لِمَنْ يَا ابنَ العَوَّامِ ؟

قَالَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) : لِنَفْسِى .

سَكَتَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ... وَمَرَّ بِخَاطِرِهِ مَا كَانَ يُفَكِّرُ فِيهِ مِن قَبْلُ ، ثُمَّ حَدَّثَ نَفْسَهُ قَائِلًا : والله إِنَّهُ لَمِنْ صُنْعِ اللهِ ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمِنْ صُنْعِ اللهِ ! وَقَالَ للزُّبَيْرِ (رَضِىَ الله عنهُ) :انْتَظِرْنِى لَحظَاتٍ .

دَخَلَ عَلَى أَسْمَاءَ (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَانْتَحَى بِهَا جَانِباً ، وَهَمَسَ فِى أُذُنِهَا قَائِلًا : مَا رَأْيُكِ يَا أَسْمَاءُ ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : فِى أَىِّ مَوْضُوعٍ يَا أَبَتَاهُ ؟

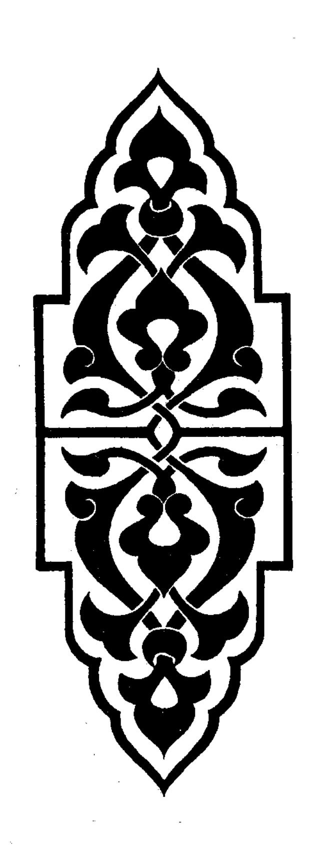
قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : لَقَد طَلَبَكِ مِنِّى الزُّبَيْرُ ، فَبِمَ أُجِيبُهُ ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : بِمَا تَرَى يَا أَبَتَاهُ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : هَلْ أَقُولُ لَهُ إِنَّنِى مُوَافِقٌ ؟

أَطْرَقَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) وَاحْمَرَّ وَجْهُهَا وَلَمْ تَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ ، فَضَمَّهُ الوَالِدُ إِلَى صَدْرِهِ ـــ وَالسُّكُوتُ عَلَامَةُ الرِّضَا ـــ ثُمَّ عَادَ إِلَى ابْنِ العَوَّامِ وَقَالَ : لَيْسَ لَدَيْنَا مَانِعٌ ... فَعَلَى بَرَكَةِ اللهِ .

★ ★ ★



وَجَاءَ مَوْعِدُ القِرَانِ

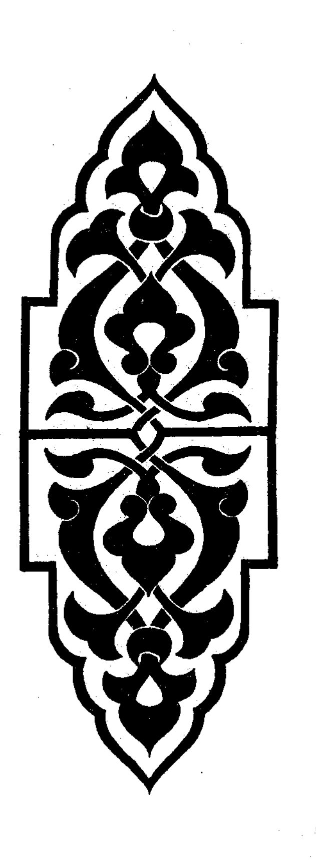
اسْتَعَدَّ الجَمِيعُ لِيَوْمِ القِرَانِ وَالزَّوَاجِ، وَعَلِمَ المُسْلِمُونَ بِمَا قَضَى اللهِ ، فَفَرِحُوا ، وَهَنَّأَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وَفَرِحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَبِهَذَا الرِّبَاطِ تَزِيدُ أَوَاصِرُ القَرَابَةِ وَالمَحَبَّةِ بَيْنَ صَفِيَّةَ زَوْجَةِ العَوَّامِ بن خُوَيْلِدٍ ، وَبَيْنَ خَدِيجَةَ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) ، فَالزُّبَيْرُ ابْنُ أَخِي خَدِيجَةَ ، وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ الصَّاحِبِ الوَفِيِّ ، وَحَسِبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مِيزَانِهِ لِبِرِّهِ بِأَهْلِ العَقِيدَةِ وَالإِيمَانِ .

★ ★ ★

اجْتَمَعَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) ، وَأُقِيمَت المَوَائِدُ ، وَضُرِبَتِ الدُّفُوفُ ، وَغَنَّت الجَوَارِي ، وَهَنَّأَ المُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَكَانَتْ فُرْصَةً طَيِّبَةً لِلِقَاءِ الإِخْوَانِ ... وَدَعَا الجَمِيعُ لِلْعَرُوسَيْنِ بِالبَرَكَةِ وَالسَّعَادَةِ .

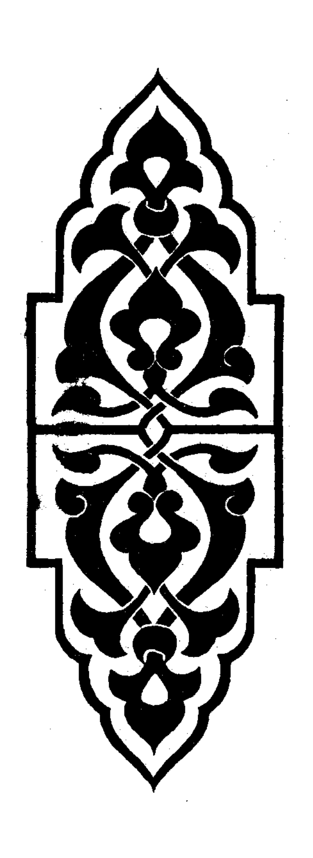
وَانْتَقَلَ الزُّبَيْرُ وَأَسْمَاءُ (رَضِيَ اللهُ عنهُما) إِلَى بَيْتِهِمَا ، وَالْفَرَحُ يَمْلأُ قَلْبَيْهِمَا وَكَانَ هَذَا مِن تَدْبِيرِ العَلِيِّ الكَبِيرِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

بَعْدَ بِضْعَةِ أَشْهُرٍ ، تَرَكَ الزُّبَيْرُ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) زَوْجَتَهُ ، لِيَذْهَبَ بِتِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ ، وَذَهَبَتْ أَسْمَاءُ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُما) حَتَّى يَرْجِعَ الزُّبَيْرُ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) مِن رِحْلَتِهِ ، وَلِتَكُونَ مَعَ أَخِيهَا



عَبْد اللهِ ، وَأُخْتِهَا عَائِشَةَ وَأُمِّ رُومَانَ زَوْجَةِ أَبِيهَا الَّتِى تُحِبُّهَا وَتَرعَاهَا (رَضِىَ الله عنهُم) .

وَفِى يَوْمٍ كَانَتْ أَسْمَاءُ وَأُخْتُهَا عَائِشَةُ (رَضِى الله عنهُما) تَجْلِسَانِ قَرِيباً مِن وَالِدِهِمَا أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَإِذَا بالبَابِ يَدُقُّ ، أَسْرَعَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) لِتَفْتَح ... وَلِتَرى الطَّارِقَ ، فَإِذَا بِهَا أَمَامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَكَانَ وَقْتَ الظَّهِيرَةِ ، وَلَمْ يَتَعَوَّدْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن يَأْتِى فِى مِثْلِ هَذَا الوَقْتِ ، وَفَكَّرَ أَهْلُ البَيْتِ أَنَّ أَمْراً جَلَلًا قَد وَقَعَ .



رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ)

اسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَدَخَلَ عَلَى أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ، فَقَامَ مِن مَكَانِهِ ، لِيَجْلِسَ رَسُولُ اللهِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، ثُمَّ قَالَ لأَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : يَا أَبَا بَكْرٍ ... أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَا رَسُولَ اللهِ ... إِنَّمَا هُمْ أَهْلِى ... وَإِنَّهَا أَسْمَاءُ وَعَائِشَةُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبَا بَكْرٍ ... فَإِنِّى قَد أُذِنَ لِى فِى الخُرُوجِ مِن مَكَّةَ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : الصُّحْبَةَ ... الصُّحْبَةَ ... يَا رَسُولَ الله .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ ... الصُّحْبَة .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) : فَخُذْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَىْ هَاتَيْنِ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ سَآخُذُهَا بالثَّمَنِ .

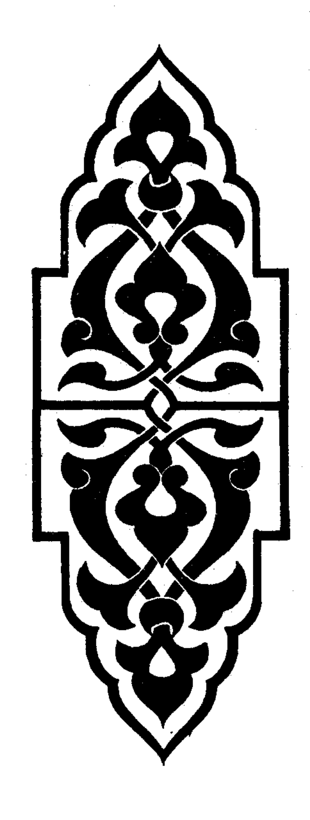
المُؤَامَرَةُ الكُبْرَى

أَقْبَلَ اللَّيْلُ فِى يَوْمٍ مُظْلِمٍ ، وَكَانَ المُشْرِكُونَ قَد عَلِمُوا بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ ، عَدُوّهُمُ اللَّدُودُ ، مِنَ الهِجْرَةِ مِن مَكَّةَ إِلَى يَثْرِبَ (المَدِينَة) فَاجْتَمَعُوا عَلَى مَنْعِهِ ، بَلْ وَقَتْلِهِ ، وَتَوْزِيعِ دِيَتِهِ عَلَى القَبَائِلِ ، كَىْ يَتَخَلَّصُوا مِنْهُ وَمِن دَعْوَتِهِ الجَدِيدَةِ الَّتِى تُخَالِفُ مَا عَلَيْهِ القَوْمُ .

أَحَاطُوا بِدَارِهِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) لِتَنْفِيذِ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ .

عَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَمْرِهِمْ ، فَطَلَبَ مِنْ عَلِيٍّ ابن أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) أَن يَنَامَ مَكَانَهُ ، وَأَن يَتَغَطَّى بِبُرْدِهِ الحَضْرَمِيِّ ... كَانَ المُجْتَمِعُونَ يُطِلُّونَ مِن ثُقْبِ البَابِ فَيَرَوْنَ النَّائِمَ الَّذِى يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ابنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ ، فَيَطْمَئِنُّونَ إِلَى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَنَّهُ مَا يَزَالُ يَغطُّ فِى نَوْمٍ عَمِيقٍ ، فَيَسْتَعِدُّونَ لِقَتْلِهِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ لَن يُفلِتَ هَذِهِ المَرَّة ، وَمَا عَرَفُوا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِن بَيْنَ صُفُوفِهِمْ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

★ ★ ★



زَادُ الرَّحِيل

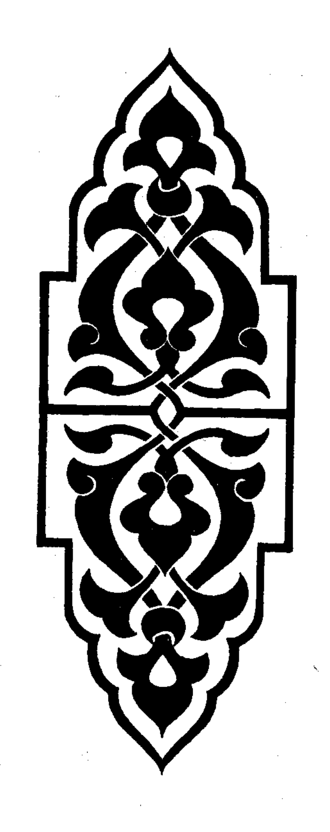
كَانَتْ أَسْمَاءُ(رَضِىَ الله عنهَا) فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ الرَّهِيبَةِ مَشْغُولَةً بِإِعْدَادِ السُّفْرَةِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ المُسَافِرَانِ .

وَوَصَلَ الرَّسُولُ (عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ) إِلَى بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) فِى الثُّلُثِ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ ، وَقَد أَعَدَّتِ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) كُلَّ شَىءٍ ، ثُمَّ خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ وَصَاحِبُهُ مِن خَوْخَةٍ فِى ظَهْرِ بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) مُتَّجِهَيْن جَنُوباً إِلَى طَرِيقِ اليَمَنِ حَيْثُ وَصَلاَ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ .

وَأَطَلَّ نُورُ الصَّبَاحِ، وَالمُشْرِكُونَ يَنْتَظِرُونَ أَن يُؤَدِّى الفِتْيَانُ دَوْرَهُم ، وَالفِتْيَانُ بدَوْرِهِمْ يَنْتَظِرُونَ أَن يَقُومَ النَّائِمُ لِيَهْجمُوا عَلَيْهِ فَيَقْتلُوهُ ، وَلَقَدْ عَظُمَتْ دَهْشَتُهُمْ حِينَ عَرَفُوا أَنَّ النَّائِمَ لَيْسَ هُوَ مُحَمَّد ﷺ ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلِيٌّ بنُ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ الله عنهُ) .

عَلِمَ المُشْرِكُونَ وَهُمْ فِى نَادِيهِمْ بِمَا تَمَّ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَنَّ النَّائِمَ هُوَ عَلِيٌّ بنُ أَبِى طَالِبٍ (رَضِىَ الله عنهُ) فَثَارُوا ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ ثَوْرَةً أَبُو جَهْلٍ ابنُ هِشَامٍ .

★ ★ ★



أَبُو جَهْلٍ يَضْرِبُ أَسْمَاءَ
(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

تَفَرَّقَ الْمُشْرِكُونَ فِي أَنْحَاءِ مَكَّةَ يَبْحَثُونَ عَن مُحَمَّدِ ابن عَبْدِ اللهِ ﷺ ، وَاتَّخَذَ أَبُو جَهْلٍ وَمَن مَعَهُ طَرِيقَهُمْ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ) ، فَهُوَ يَعْرِفُ الصَّدَاقَةَ الحَمِيمَةَ الَّتِي بَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ مُوقِنٌ أَنَّهُ سَيَجِدُهُ هُنَاكَ .

وَصَلُوا جَمِيعاً إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ) ، طَرَقَ أَبُو جَهْلٍ البَابَ ، وَاقْتَرَبَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ الله عنهَا) ثُمَّ نَادَتْ : مَنِ الطَّارِقُ ؟

قَالَ أَبُو جَهْلٍ : افْتَحِي يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ .

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ الله عنهَا) : مَن تَكُونُ ؟

قَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَنَا ابنُ هِشَامٍ .

فَتَحَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ الله عنهَا) البَابَ .

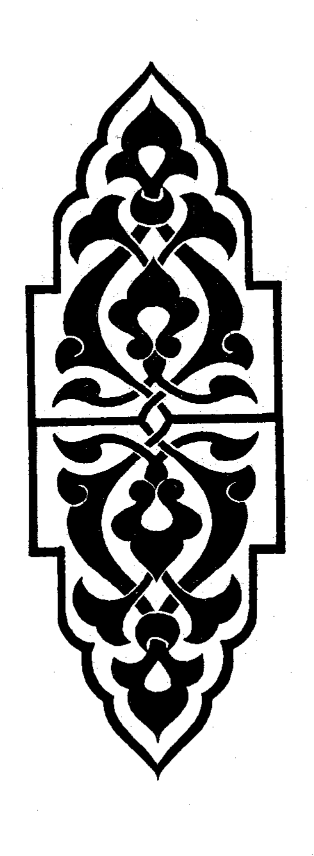
قَالَ أَبُو جَهْلٍ : نَادِي أَبَاكِ .

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ الله عنهَا) : أَبِي لَيْسَ بالدَّارِ .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَيْنَ ذَهَبَ ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ الله عنهَا) : لَا أَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَ .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ : مَتَى خَرَجَ اللَّيْلَةَ ؟



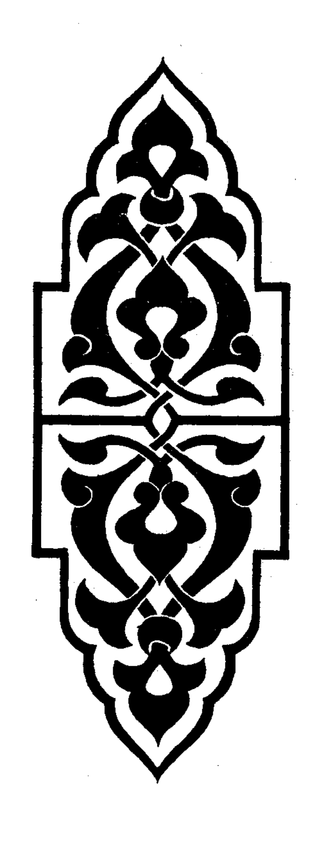
قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ الله عنهَا) : لَا أَدْرِى فَقَدْ كُنْتُ نَائِمَةً .

قَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَلا تَعْرِفِينَ أَيْنَ سَار ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : لَا أَعْرِفُ ـــ وَاللهِ ـــ مَكَانَهُ .

أَخَذَ الغَيْظُ مِنْ أَبِى جَهْلٍ مَأْخَذَهُ ، وَاسْتَوْلَى الغَضَبُ عَلَيْهِ ، فَهَوَى بِيَدِهِ الغَلِيظَةِ عَلَى وَجْهِ أَسْمَاءَ (رَضِىَ الله عنهَا) بِلَطْمَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَصَلَتْ إِلَى أُذُنِهَا فَشَقَّتْهَا ، وَسَقَطَ القُرْطُ مِنْهَا ، وَقَد تَخَضَّبَتْ بِالدِّمَاءِ .

وَقَفَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) ثَابِتَةً لَمْ تَتَزَحْزَحْ رَغْمَ مَا عَانَتْهُ مِن شِدَّةِ اللَّطْمَةِ ، أَمَّا أَبُو جَهْلٍ فَقَد انْسَحَبَ فِى خِزْيٍ وَعَارٍ .



أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا) مَعَ جَدِّهَا

ثُمَّ طَرَقَ البَابَ طَارِقٌ آخَرُ ، وَمَا كَادَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) تَقْتَرِبُ مِنَ البَابَ حَتَّى سَمِعَتْ صَوْتَ جَدِّهَا أَبِى قُحَافَةَ ، فَفَتَحَتْ البَابَ ، وَمَا كَادَ يَقَعُ نَظَرُهُ عَلَيْهَا ، حَتَّى ابْتَدَرَهَا قَائِلًا فِى لَهْفَةٍ : أَيْنَ أَبُوكِ يَا أَسْمَاءُ ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : أَبِى يَا جَدِّى هَاجَرَ إِلَى رَبِّهِ .

قَال أَبُو قُحَافَة : وَمَا الَّذِى دَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ اللَّه عنهَا) : الصُّحْبَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَال أَبُو قُحَافَة : النَّاسُ تَقُولُ : إِنَّهُ أَعْطَى كُلَّ مَالِهِ لِمُحَمَّدِ بن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ .

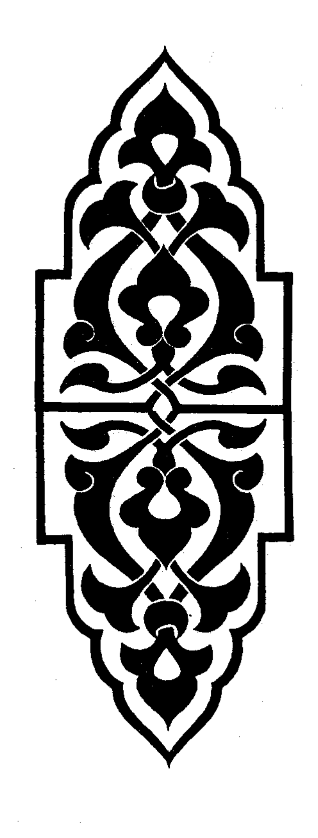
قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ اللَّه عنهَا) : أَبداً يَا جدَّاهُ ، لَقَد تَرَكَ لَنَا خَيْراً كَثِيراً .

جَمَعَتْ أَسْمَاءُ وَأُخْتُهَا عَائِشَةُ (رَضِيَ اللَّه عنهُمَا) حَصًى مِن فِنَاءِ البَيْتِ ، وَلَفَّتْهَا فِي قِطْعَةٍ مِنَ القُمَاشِ ، وَوَضَعَتْهَا فِي الكُوَّةِ (١) ، ثُمَّ سَحبَتْ جَدَّهَا ، وَكَانَ قَد ضَعُفَ بَصَرُهُ ، فَلَمَسَ مَا وُضِعَ فِي الكُوَّةِ ، وَأَسْمَاءُ (رَضِيَ اللَّه عنهَا) تَقُولُ : أَلَيْسَ هَذَا كَثِيراً يَا جَدَّاهُ ؟

فَقَال أَبُو قُحَافَةَ : الآنَ قَد اسْتَرَاحَت نَفْسِي يَا أَسْمَاءُ !

دَوْرٌ عَظِيمٌ

عَرَفَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ اللَّه عنهَا) المَكَانَ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ الصَّاحِبَانِ ، وَكَانَ غَارَ ثَوْرٍ ، فَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ لَيْلًا بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ يَصْحَبُهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ قَد كَلَّفَهُ أَبُوهُ بِتَتَبُّعِ المُشْرِكِينَ لِمَعْرِفَةِ أَخْبَارِهِمْ ، وَمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ تِجَاهَ البَحْثِ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى إِذَا رَجَعَا إِلَى البَيْتِ ، وَظَهَرَ الفَجْرُ ، خَرَجَ عَامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ رَاعِي غَنَمِ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّه عنهُ) مُبَكِّراً فِي الصَّبَاحِ لِيَطْمِسَ بِأَرْجُلِ الغَنَمِ مَعَالِمَ أَقْدَامِ أَسْمَاءَ وَأَخِيهَا

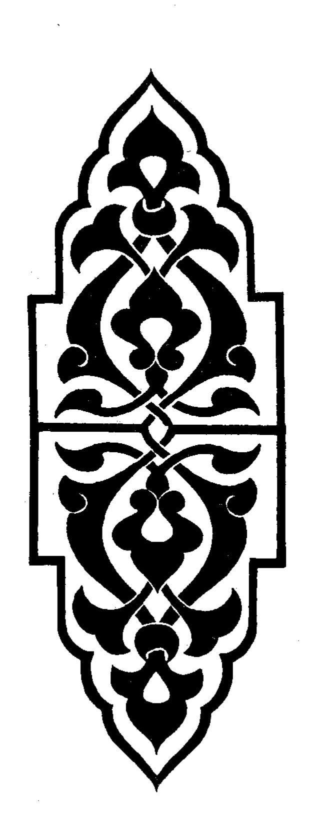


(١) **الكُوَّةُ** : الخرق في الجدار يدخل منه الهواء والضوء .

عَبْدِ اللهِ ، حَتَّى لَا يَتَعَرَّفَ كُفَّارُ مَكَّةَ عَلَى مَكَانِ الصَّاحِبَيْنِ .

بَقِيَ رَسُولُ اللهِ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) وَصَاحِبُهُ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) فِي الغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا ، وَفِي اللَّيْلَةِ الأَخِيرَةِ صَنَعَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) سُفْرَةً كَبِيرَةً فِيهَا شَاةٌ مَطْبُوخَةٌ ، وَبِهَا سِقَاءُ المَاءِ ، وَذَهَبَتْ بِهِمَا مَعَ أَخِيهَا إِلَى الغَارِ ، حَتَّى إِذَا دَنَا وَقْتُ الرَّحِيلِ ، وَقَفَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) تُسَاعِدُ فِي رَبْطِ الأَشْيَاءِ ، وَأَرَادَتْ أَن تُعَلِّقَ السُّفْرَةَ وَالسِّقَاءَ ، وَلَم تَجِدْ مَا تَرْبِطُهُمَا بِهِ فَشَقَّتْ نِطَاقَهَا نِصْفَيْنِ ، رَبَطَتْ بِأَحَدِهِمَا السُّفْرَةَ وَالسِّقَاءَ ، وَلَفَّتِ الشِّقَّ الآخَرَ عَلَى وَسَطِهَا كَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ العَادَةُ عِنْدَ العَرَبِ ، رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَقَدْ فَعَلَتْ ذَلِكَ فَقَالَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) : « أَبْدَلَكِ اللهُ بِنِطَاقِكِ هَذَا نِطَاقَيْنِ فِي الجَنَّةِ »(١) .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الحِينِ سُمِّيَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُمَا) بِذَاتِ النِّطَاقَيْنِ .





إِلَى المَدِينَةِ

جَاءَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُرَيْقِطٍ الدَّلِيلُ الَّذِي سَيَقُودُ الرَّكْبَ ، وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةٍ بِالطَّرِيقِ ، وَكَانَ عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِأَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عنهُ) ، وَاسْتَعَدُّوا لِلرَّحِيلِ ، وَقَفَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) لِتُوَدِّعَ النَّبِيَّ ﷺ فَوَقَفَتْ أَمَامَهُ

---

(١) سبق تخريجه .

وَقَالَتْ : فِى حِفْظِ اللهِ وَرِعَايَتِهِ ، وَهُوَ خَيْرُ الحَافِظِينَ ، ثُمَّ اقْتَرَبَتْ مِنْ أَبِيهَا وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ ، وَقَبَّلَتْهُ فِى جَبِينِهِ ، ثُمَّ وَقَفَتْ مَعَ أَخِيهَا تُرَاقِبَانِ الرَّكْبَ حَتَّى غَابَ فِى الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ المُتَعَرِّجِ مُتَّجِهِينَ إِلَى يَثْرِبَ (المَدِينَة) .

عَوْدَةُ أَسْمَاءَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا) إِلَى البَيْتِ

عَادَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) مَعَ أَخِيهَا عَبْد اللهِ إِلَى البَيْت ، وَقَدْ بَدَا عَلَيْهَا الحُزْنُ العَمِيقُ ، وَسَادَهُمَا الصَّمْتُ ، وَلَكِنَّ عَبْد اللهِ أَرَادَ أَن يَقْطَعَ هَذَا الصَّمْتَ فَقَالَ : وَاللهِ يَا أَسْمَاءُ إِنِّى خَائِفٌ عَلَى أَبِى ، وَعَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .

فَقَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : وَلَكِنِّى يَا عَبْد اللهِ أَخَافُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكْثَرَ ؛ لأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ .

أَجَابَ عَبْدُ اللَّهِ : نَعَمْ يَا أَسْمَاءُ ...

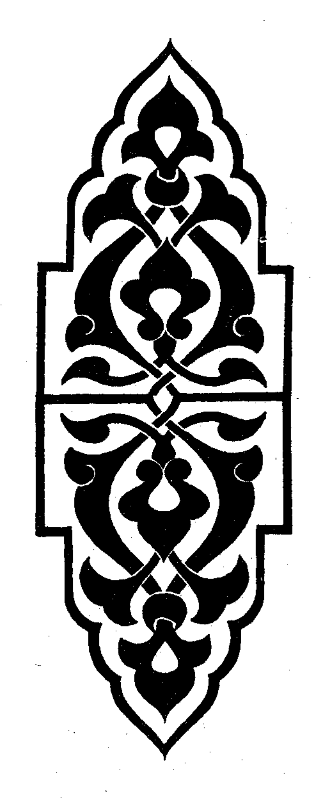
قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : وَلَكِنْ مِمَّا تَطْمَئِنُّ لَهُ نَفْسِى أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِى أَمَرَهُ بالهِجْرَةِ ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيَحْفَظُهُ لإِتْمَامِ الدَّعْوَةِ وَنَشْرِ الإِسْلَامِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذَا ـــ واللهِ ـــ حَقٌّ يَا أَسْمَاءُ .

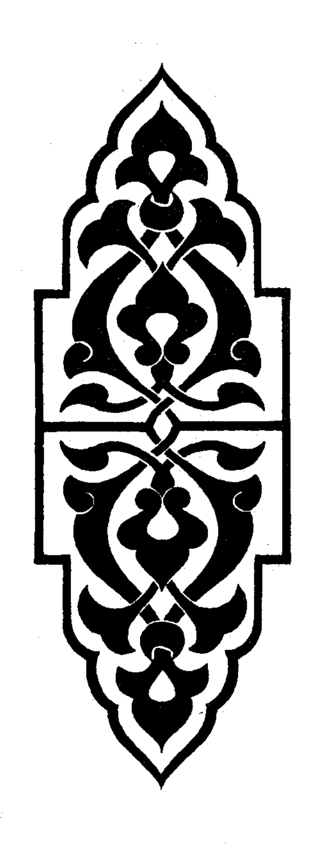
قَالَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) : نَدْعُو الله ... أَن يُلْحِقَنَا بالنَّبِىِّ ﷺ وَبِالْمُسْلِمِينَ فِى يَثْرِبَ (المَدِينَة) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِن شَاءَ الله سَوف نَلْحَقُ بِهِمْ .

وَسَارَا سَالِمَيْنِ حَتَّى دَخَلَا البَيْتَ .



الزُّبَيْرُ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ)
بِجِوَارِ النَّبِىِّ ﷺ



عَلِمَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) وَهُوَ بِالشَّام أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَهُ (رَضِىَ الله عنهُ) هَاجَرَا إِلَى يثْرِبَ (المَدِينَة) ، وَأَنَّ أَهْلَهَا فَرِحُوا بِهِمَا فرحاً شَدِيداً ، وَأَنَّهُمْ قَابَلُوهُم بالْبشْرِ والتَّرْحَابِ ... وَأَنَّ آلَ أَبِى بَكْرٍ وَمَعَهُمْ أَسْمَاءُ زَوْجُهُ (رَضِىَ الله عنهُم) سَيَلْحَقُونَ بِهِمْ قَرِيباً ، فَقَد بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) كِتَاباً إِلَى ابْنِهِ عَبْد الله ، حَمَلَهُ إِلَيْهِ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ وَأَبُو رَافِعٍ (رَضِىَ الله عنهُمَا) اللَّذَانِ ذَهَبَا إِلَى مَكَّةَ لِيَأْتِيَا بِأَهْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ... وَأَنَّ الجَمِيع سَيَكُونُونَ قَرِيباً فِى يَثْرِبَ (المَدِينَة) .

أَسْرَعَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) يَطْوِى الأَرْضَ طيًّا مُتَّجِهاً إِلَى يَثْرِبَ (المَدِينَة) ، لِيُشَارِكَ فِى ثَوَابِ الهِجْرَة إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلِيَسْتَقْبِلَ زَوْجَتَهُ بَعْدَ طُولِ غِيَابٍ ، وَكُلُّهُ شَوْقٌ لِهَذَا اللِّقَاءِ .

وَصَلَ ... فَوَجَدَ المُسْلِمِينَ مُجْتَمِعِينَ فِى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا أَن رَآهُ المُسْلِمُونَ حَتَّى هَلَّلُوا وَكَبَّرُوا ... ثُمَّ رَحَّبَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ ، وَفَرِحَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) كثيراً ،

وَسَأَلَ الزُّبَيْرَ (رَضِىَ الله عنهُ) عَنِ الأَهْلِ فَعَلِمَ أَنَّهُمْ سَيَصلُونَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ إِلَى المَدِينَةِ .

أَصَابَهُ شَىْءٌ مِنَ القَلَقِ ... لِمَاذَا تَأَخَّرَ رَكْبُ أَسْمَاءَ (رَضِىَ الله عنهَا) ؟ وَهَلْ أُصِيبُوا بِمَكْرُوهٍ ؟ تُرَى مَا الَّذِى حَدَثَ ؟

أَوَّلُ مَوْلُودٍ لِلْمُهَاجِرِينَ

تَوَجَّهَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) إِلَى الله بالدُّعَاءِ وَالرَّجَاءِ أَن يَصِلُوا سَالِمِينَ إِلَى المَدِينَة ، وَبَيْنَمَا هُوَ غَارِقٌ فِى تَفْكِيرِهِ إِذْ أَقْبَلَ البَشِيرُ مِن قبَاءَ يَسْبقُ الآلَ لِيُبَشِّرَ بِسَلاَمَةِ الوُصُولِ ... فَقَد وَصَلُوا قبَاءَ ... وَنَهضَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) لِيَسْتَفْسِرَ عَن سِرِّ التَّوَقُّفِ فِى قبَاءَ ... فَبَادَرَهُ البَشِيرُ قَائِلًا : أَبْشِرْ يَا ابْنَ العَوَّامِ ، فَقَد رَزَقَكَ الله بِمَوْلُودٍ كَرِيمٍ .

قَالَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) : الحمد لله .. أَيْنَ وُلِدَ ؟

قَالَ البَشِيرُ : وُلِدَ بِقبَاءَ .

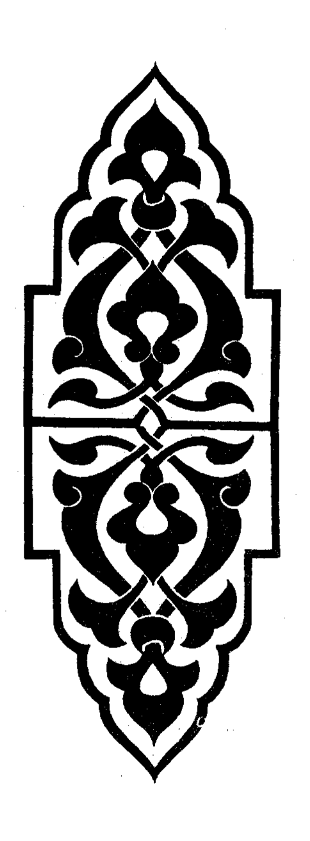
قَالَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) : وَمَتَى كَانَتْ وُلَادَتُهُ ؟

قَالَ البَشِيرُ : كَانَتْ وُلَادَتُهُ فَجْرَ هَذَا اليَوْمِ .

قَالَ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ الله عنهُ) : وَكَيْفَ حَالُ أَسْمَاءَ ؟

قَالَ البَشِيرُ : بِخَيْرٍ .

كَبَّرَ المُسْلِمُونَ وَهَلَّلُوا ... فَهَذَا أَوَّلُ مَوْلُودٍ يُولَدُ لِلْمُهَاجِرِينَ فِى المَدِينَةِ ، وَهَنَّأَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ... وَانْتَشَرَ الخَبَرُ فِى أَرْجَاءِ المَدِينَةِ .



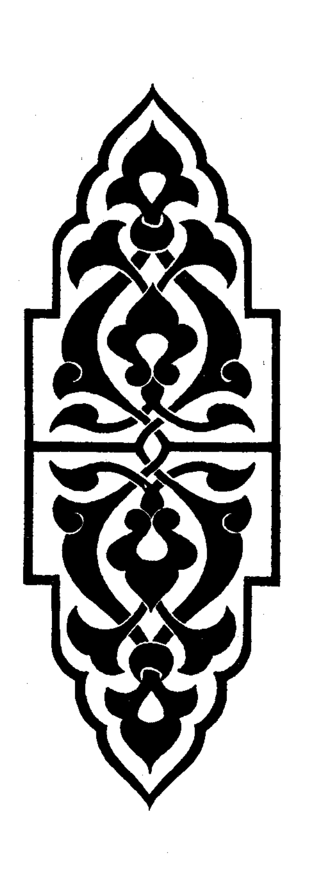
مَوْلِدٌ وَنَصْرٌ

فَرِحَ المُسْلِمُونَ كَثِيراً ... وَحَمِدُوا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، واسْتَبْشَرُوا بِالْمَولُودِ ، وَدَعَوُا اللهَ بِأَن يَزِيدَ فِى عَدَدِ المُسْلِمِينَ ، فَهَذَا أَوَّلُ مَوْلُودٍ يُولَدُ لِلْمُهَاجِرِينَ فِى المَدِينَةِ .

وَأَسْرَعَ أَبُو بَكْرٍ وَمَعَهُ الزُّبَيْرُ (رَضِىَ اللهُ عنهُما) إِلَى قُبَاءَ ... وَالْتَقَيَا بالأَهْل ... وَحَمَلَ الزُّبَيْرُ زَوْجَتَهُ أَسْمَاءَ وَأَهْلَ أَبِى بَكْرٍ وَمَعَهُمُ المَوْلُودُ الحَبِيبُ ، وَاتَّجَهُوا جَمِيعاً إِلَى المَدِينَةِ ... وَحَمَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى يَدَيْهِ أَوَّلَ حَفِيدٍ لَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَوَضَعَهُ فِى حِجْرِهِ ... فَابْتَسَمَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ : « إِنَّهُ أَشْبَهُ النَّاسِ بِأَبِى بَكْرٍ » .

ثُمَّ طَلَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَمْرَةً ... فَمَضَغَهَا بِفَمِهِ الشَّرِيفِ ، فَاخْتَلَطَتْ بِرِيقِهِ ... وَحَنَّكَهُ بِهَا [1] ، فَكَانَ أَوَّلَ رِيقٍ يَصِلُ إِلَى جَوْفِ ابنِ أَسْمَاءَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) هُوَ رِيقُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ ، تَيَمُّناً باسْمِ جَدِّهِ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، وَتَبَادَلَ الصَّحَابَةُ عَبْدَ اللهِ يُقَبِّلُونَهُ ... وَيَضُمُّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى صَدْرِهِ .

رَجَعُوا بِعَبْدِ اللهِ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) فِى الدَّارِ الَّتِى نَزَلَتْ بِهَا ، وَقَد امْتَلأَتِ الدَّارُ بنسَاءِ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ، وَهُنَّ يُرَدِّدْنَ الأَشْعَارَ ، وَيَرْفَعْنَ أَصْوَاتَهُنَّ فَرَحاً وَسُرُوراً .



---

(١) أى : أدار التمرة فى فمه ، وقد أصبح ذلك من السُّنن مع المولود .

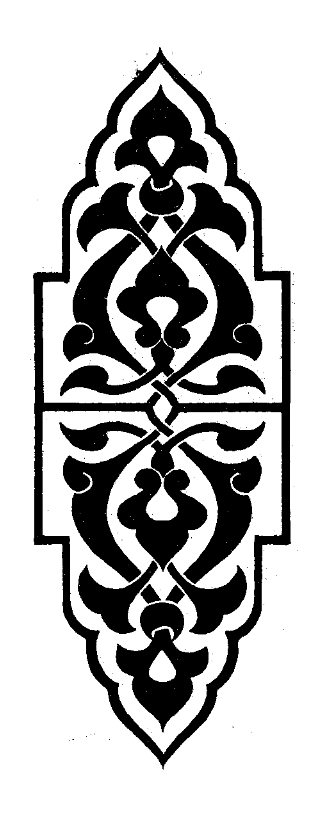
حَمَلَ الأَنْصَارُ وَالمُهَاجِرُونَ الهَدَايَا والأَطْعِمَةَ المُخْتَلِفَةَ إِلَى بَيْتِ أَسْمَاءَ وَابنِ العَوَّامِ ، وَمَضَتْ لَيْلَةٌ سَعِيدَةٌ ... وَالنَّاسُ حَامِدُونَ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، شَاكِرُونَ لَهُ فَضْلَهُ وَكَرَمَهُ .

فِى بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ

اسْتَقَرَّتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) فِى البَيْتِ مَعَ زَوْجِهَا ، وَاسْتَقَلَّتْ بِحَيَاتِهَا ، وَلَمْ تَرْكَنْ إِلَى أَبِيهَا الغَنِىِّ ، تَطْلُبُ مِنْهُ مُسَاعَدَةً ، وَإِنَّمَا أَرَادَتْ أَن تَتَعَاوَنَ مَعَ زَوْجِهَا ، وَهِىَ تَعْرِفُ أَنَّهُ فَقِيرٌ مُعْدِمٌ ، وَأَن تُقَاسِمَهُ خُشُونَةَ العَيْشِ وَقَسْوَةَ الحَيَاةِ .

نَسِيَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) العَيْشَ الرَّغْدَ ، وَالنَّعِيمَ الَّذِى عَاشَتْ فِيهِ مَعَ وَالِدِهَا ، كَانَ يَقُومُ عَلَى طَلَبَاتِهَا الخَدَمُ ، وَإِن كَانَتْ تُسَاعِدُ فِى بَيْتِ أَبِيهَا ، فَإِنَّمَا هُوَ عَن طِيبِ خَاطِرٍ وَرِضَا نفسٍ ، لَكِنَّهَا اليَوْمَ تَقِفُ مَعَ زَوْجِهَا ، فَلَيْسَ لابْنِ العَوَّامِ أَرْضٌ يَتَوَلَّى زِرَاعَتَهَا ، وَلَا مَالٌ يُتَاجِرُ بِهِ ، وَلَيْس عِنْدَهُ مَمْلُوكٌ قَد يُؤَجِّرُهُ ، وَيَنْتَفِعُ بِأُجْرَتِهِ ، فَهُوَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا فَرَسَهُ الَّذِى يَحْمِلُ عَلَيْهِ المَاءَ مِنَ الآبَارِ .

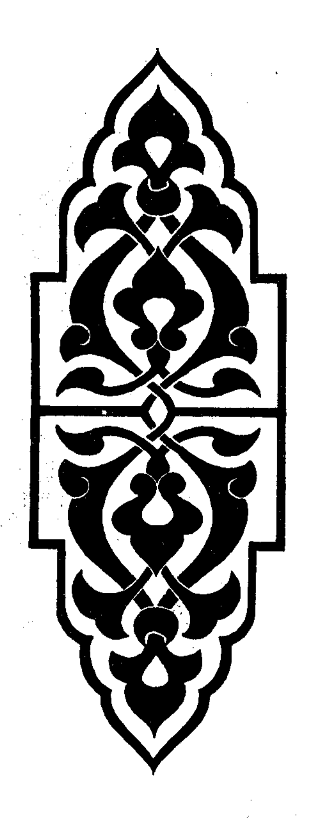
كَانَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) تَعْلِفُ الفَرَسَ بِأَن تَدُقَّ لَهُ النَّوَى ... فَيَأْكُلَهُ وَتَسْقِيهِ المَاءَ ، كَمَا كَانَتْ تَعْجِنُ الدَّقِيقَ ، وَلَمْ تَكُن تُحْسِنُ العَجْنَ وَلَا الخَبْزَ ... فَكَانَتْ لَهَا جَارَاتٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، كُنَّ يُسَاعِدْنَهَا فِى



أَعْمَالِ البَيْتِ ، وَيُقَدِّمْنَ لَهَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَلَقَد كَانَت الأُخُوَّةُ كَامِلَةً بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ ، وَالتَّعَاوُنُ صَادِقٌ ، وَالإِخْلَاصُ مُتوفِّرٌ لَا يُعَكِّرُ صَفْوَهُ شَيْءٌ .

الأَرْضُ الجَدِيدَةُ

أَقْطَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْضَ المُهَاجِرِينَ أَرْضاً ، وَمِنْهُمْ ابنُ العَوَّامِ ، هَذِهِ الأَرْضُ كَانَتْ عَلَى بُعْد كِيلُو مِنَ المَدِينَةِ ، وَكَانَ بِهَا زَرْعٌ وَنَخِيلٌ ، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) تَحْمِلُ النَّوَى عَلَى رَأْسِهَا مِن تِلْكَ الأَرْض وَتَذْهَبُ بِهِ إِلَى البَيْتِ لِتَدُقَّهُ ، فَلَقِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّةً وَهِيَ تَحْمِلُ النَّوَى ، وَكَانَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَادَاهَا : يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ ... يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ ... فَلَمَّا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ، قَالَ لِلْبَعِيرِ : إِخْ ... إِخْ [1] ... لِيَحْمِلَهَا خَلْفَهُ ، لَكِنَّهَا اسْتَحْيَتْ أَن تَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ وَعَرَفَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّهَا اسْتَحْيَتْ ، فَمَضَى ... وَتَرَكَهَا وَشَأْنَهَا .



صَبَرَتْ أَسْمَاءُ (رَضِيَ اللهُ عنهَا) ، وَجَعَلَتْ رِسَالَتهَا إِرْضَاءَ زَوْجِهَا ، فَقَنَعَتْ بِكَسْبِهِ ، وَحَمِدَتِ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَا قُسِمَ لَهَا وَلَهُ مِنَ الرِّزْقِ ، فَأَعَانَتْهُ بِكُلِّ مَا تَسْتَطِيعُ مِن قُوَّةٍ ، وَوَقَفَتْ بِجَانِبِه تَنْتَظِرُ الجَزَاء مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

---

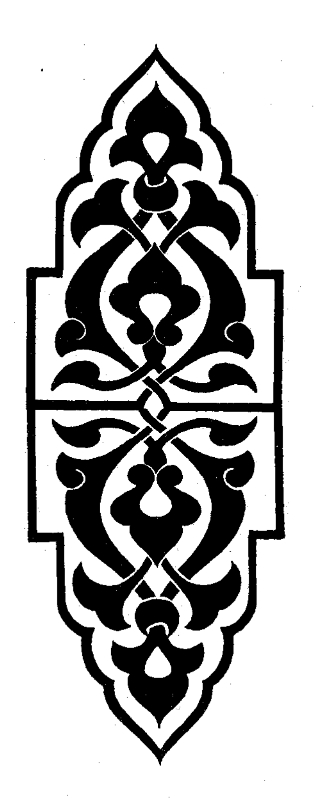
(١) إِخْ : صوت يناخ به الجمل .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) رَأَى مَا تُقَاسِيهِ ابْنَتُه أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) مِنْ غَيْرِ أَن تَشْتَكِى ، فَأَرْسَلَ لَهَا خَادِماً يَحْمِلُ عَنْهَا عَنَاءَ العَمَلِ ، فَفَرِحَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) كَثِيراً ، ثُمَّ قَالَتْ تَذْكُرُ فَضْلَ أَبِيهَا : كَفَانِى سِيَاسَةَ الفَرَسِ ... فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِى .

الحَيَاةُ مُسْتَقِرَّةٌ

لَقَد هَيَّأَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) لِزَوْجِهَا حَيَاةً مُسْتَقِرَّةً رَغْمَ قِلَّةِ مَا بِيَدِهَا مِن مَالٍ ، فَلَمْ تُرْهِقْهُ بِالمَطَالِبِ ، وَلَا بالشِّكَايَاتِ ، فَاتَّجَهَ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِن قُوَّةٍ إِلَى العِبَادَةِ ، وَحِفْظِ مَا نَزَلَ وَيَنْزِلُ مِنَ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيم ، وَكَثِيراً مَا كَانَتْ أَسْمَاءُ تُشَارِكُ زَوْجَهَا فِى الحِفْظِ وَالتِّلَاوَةِ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى قِيَامِ أَسْمَاءَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) بِالبَيْتِ وَالأُسْرَةِ الَّتِى يَتَكَاثَرُ عَدَدُهَا أَنَّ الزُّبَيْرَ بنَ العَوَّامِ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) كَانَ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ قَامُوا بِوَاجِبِهِمْ فِى الجِهَادِ ... وَلَقَد اشْتَرَكَتْ فِى بَعْضِ الغَزَوَاتِ ، وَكَانَ لَهَا مَوْقِفٌ مَرْمُوقٌ فِى غَزْوَةِ (تَبُوك) .



فَقَد حَضَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا وَابْنِهَا عَبْدِ اللهِ (رَضِىَ اللهُ عنهُم) فِى تِلْكَ الغَزْوَةِ ، وَاسْتَعَدَّتْ لِقِتَالِ العَدُوِّ إِذَا اقْتَرَبَ مِنْ خَيْمَتِهَا ، وَرَجَعَتْ فَرِحَةً مَسْرُورَةً مَعَ المُجَاهِدِينَ المُنْتَصِرِينَ .



جُـرْأَةٌ وَشَـجَاعَـةٌ

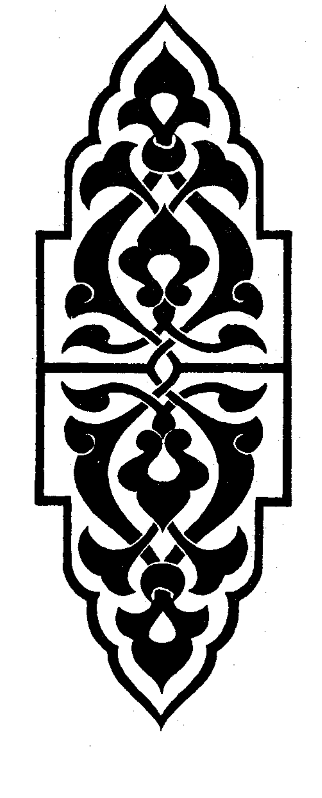
كَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُما) جَرِيئَةً فِى الحَقِّ، وَبَلَغَتْ فِى ذَلِكَ مَبْلَغاً كَبِيراً، وَكَيْفَ لَا يَتَسَنَّى لَهَا ذَلِكَ، وَهِىَ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ الَّتِى وَهَبَتْ رُوحَهَا وَحَيَاتَهَا دِفَاعاً عَنِ الدِّينِ الجَدِيدِ الَّذِى أَضَاءَ نُورُهُ شِعَاب مَكَّةَ.

عَمِدَتْ أَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهَا) إِلَى نِطَاقِهَا فَشَقَّتْهُ نِصْفَيْنِ، نِصْفاً وَضَعَتْ فِيهِ الطَّعَامَ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ وَصْحْبِهِ، وَالآخَرَ تَفْعَلُ بِهِ كَغَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ، وَتَتَجَلَّى شَجَاعَتُهَا عِنْدَمَا يُقْدِمُ عَلَيْهَا ابْنُهَا عَبْدُ اللهِ بن الزُّبَيْر، وَيَقُصّ عَلَيْهَا مَخَافَتَهُ من التَّمْثِيلِ بِجَسَدِهِ عِنْدَ المَوْتِ، فَتَقُولُ لَهُ مُسْتَنْكِرَةً ذَلِكَ: وَهَلْ تَتَأَلَّم الشَّاة مِنْ سَلْخِهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا؟

وَيُشْرِقُ ذَلِكَ وُضُوحاً عِنْدَمَا تَتَقَدَّمُ إِلَى الحَجَّاجِ بَعْدَ أَنْ رُفِعَ بَصَرُهَا وَقُتِلَ ابْنُهَا مَعَ جِوَارٍ لَهَا فَقَالَتْ: أَيْنَ الحَجَّاجُ ؟!

فَقِيلَ لَهَا: لَيسَ هُنَا.

قَالَتْ: مُرُوهُ فَلْيَأْمُرْ لَنَا بِهَذِهِ العِظَامِ، فَإِنِّى سَمِعْتُ النَّبِىّ ﷺ يَنْهَى عَنِ المُثْلَةِ (١).



(١) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/٥٧) وسنده معضل، والنهى عن «المثلة» ثابت عند أبى داود (٢٦٦٧)، وأحمد (٤/٤٤٠) عن عمران بسند حسن.

فَقِيلَ لَهَا : إِذَا جَاءَ قُلْنَا لَهُ .

فَقَالَتْ : إِذَا جَاءَ فَأَخْبِرُوهُ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ فِي ثقيف كَذَّاباً وَمُبِيراً »(1) .

وَكَانَتْ تَرَى أَنَّ المُبِير هُوَ الحَجَّاجُ بن يُوسُف الثَّقَفِي .

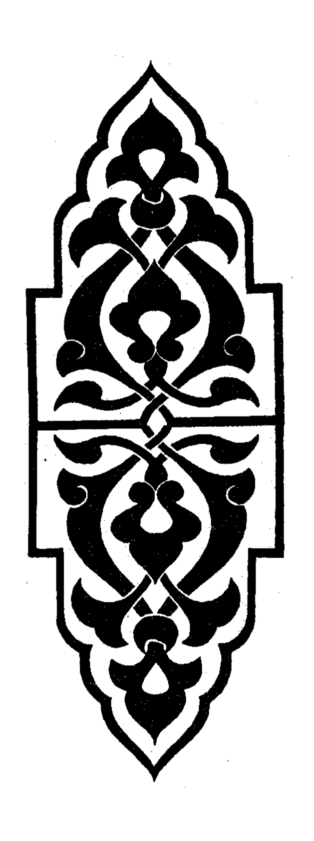
أَبْنَاؤُهَا

لَقَدْ شَبّ أَبْنَاءُ السَّيِّدَة أَسْمَاءَ (رَضِيَ الله عنهَا) عَلَى العِلْمِ وَالفَضِيلَةِ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ وَهُمْ مَنْ هُمْ ؟! وَهِيَ مَنْ هِيَ ؟! وَكَانَ لِتِلْكَ النَّشْأَةِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي طَلَبِ الرِّفْعَةِ وَالمَجْدِ .

فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْر (رَضِيَ الله عنهُ) أَكْبَرَ أَوْلَادهَا ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ لِلْمُهَاجِرِينَ فِي المَدِينَةِ ، وَقَدْ كَانَتْ وُلَادَتهُ خَيْراً لِلْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ شُجَاعاً فَارِساً حَكِيماً مُتَكَلِّماً فَصِيحاً .

وَكَانَ عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْر (رَضِيَ الله عنهُ) عَابِداً تَقِيًّا زَاهِداً ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ حَتَّى كَانَ أَحَد الفُقَهَاءِ السَّبْعَة بِالمَدِينَةِ ، لَازَمَ عَائِشَة (رَضِيَ الله عنهَا) وَتَأَثَّرَ بِهَا .

وَكَانَ المُنْذِر بنُ الزُّبَيْرِ (رَضِيَ الله عنهُ) تَاجِراً أَمِيناً ، يُعْطِي حَقّ اللهِ وَحَقّ النَّاسِ .



---

(1) انظر : (الحلية ٢/٥٥) .

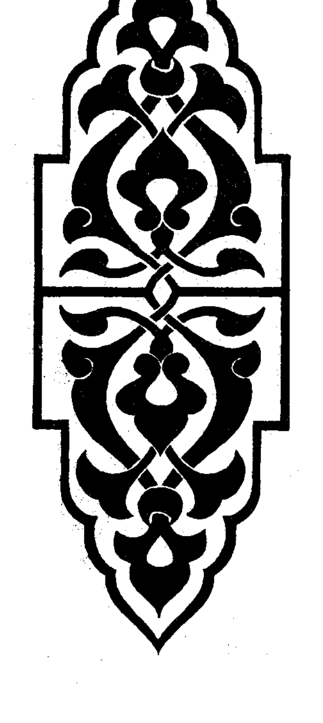
أَمَّا البَنَات فَكَانَتْ لَهَا بِنْت تُسَمَّى خَدِيجَة الكُبْرَى تَزَوَّجَتْ عَبْد اللهِ بن أَبِى رَبِيعَة المَخْزُومِى ، وَأُمّ الحَسَنِ تَزَوَّجَتْ عَبْدَ الرَّحْمن بن الحَارِث ، وَعَائِشَة تَزَوَّجَتْ الوَلِيد بن عُثْمَان بن عَفَّان (رَضِىَ الله عنهُم أجمعين) .

نِهَايَةٌ مَجِيدَة

لَقَدْ جَاوَزَتِ المَائَةَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَتَرَكَتْ لَنَا مَثَلًا أَعْلَى يُقْتَدى بِهِ فِى تَرْبِيَةِ الأَوْلَادِ ، وَفِى الكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَقُوَّةِ الإِيمَانِ ، وَالدَّعْوَة إِلَى الحَقّ وَالتَّمَسُّكِ بِالعَقِيدَةِ الصَّافِيَةِ وَالتَّضْحِيَةِ فِى سَبِيلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ابْتغَاءَ مَرْضَاتِهِ .

وَسَتَظَلُّ عَلَى مَدَى الأَيَّام وَالسِّنِينَ تَحْمِلُ المَعَانِى الخَالِدَةَ ، يَتَنَاقَلُهَا الجِيل بَعْدَ الجِيلِ لِيَكُونَ مِنْهَا الأُسْوَةُ وَالقُدْوَة .

بَعْدَ هَذَا العُمْر المَجِيد مَاتَتْ أَسْمَاءُ بَعْد ابْنِهَا عَبْدِ اللهِ بِعِشْرِينَ يَوْماً وَكَانَتْ وَفَاتُهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَرَحِمَهَا الله وَرَضِىَ عَنْهَا .

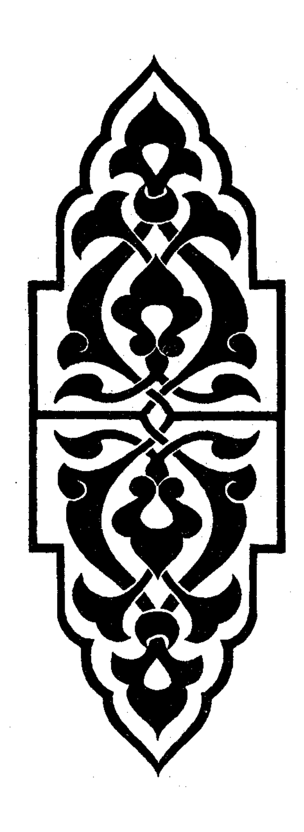


★ ★ ★

وإلى اللقاء بمشيئة الله مع ..

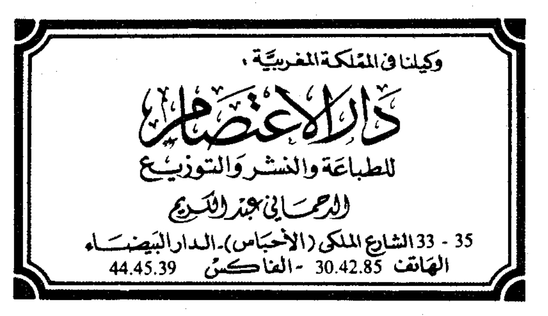
نسيبة بنت كعب رضي الله عنها
بطلة المعارك

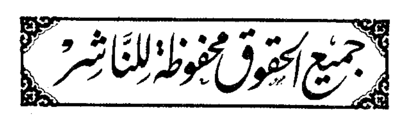




دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات ، دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦





رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٩٩٧ / ٧٦٢١

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدي ـــ ١١٢٣١